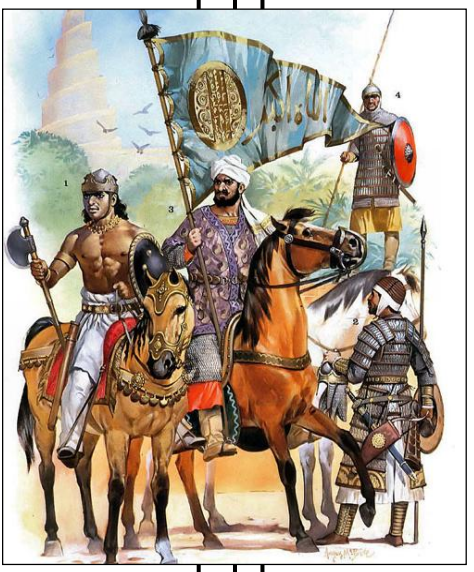

الباب السابع

جولة الصحابة والتابعين من الأنصار والمهاجرين في المالديف

◆◆◆

أولاً: أمراء جَوْلَة مالديف(1)

البيانات / الجَوْلَة وتاريخها	أمير الجَوْلَة	التصنيف
جَوْلَة مالديف سنة 189هـ	التجّار المسلمين	تابعين
جَوْلَة مالديف سنة 548 هـ	أبو البركات الدرديري	تابعي

ثانيا: بانوراما جَوْلَة المالديف

1 ـ **جَوْلَة مالديف سنة 189هـ**: وصل الإسلام إلى جزر المالديف عن طريق التجارة وذلك حوالي عام 189هـ، وانطلق الدعاة إليها حتى عمَّ فيها، وفي عام 548هـ، أسلم السلطان، واعتنق السكان كافة الديانة الإسلامية.

2ـ **جَوْلَة مالديف سنة 548 هـ**: من الثابت تاريخياً أن شعب المالديف قد اهتدى إلى الإسلام عام 548 هـ في عهد السلطان (**ماها كلامنجا**) الذي اتخذ فيما بعد اسم (محمد بن عبد الله)، وكان ذلك على يد داعية من المغرب العربي يُعرف باسم الشيخ الحافظ أبو البركات يوسف البربري.

الداعية أبو البركات البربري: تعود أصول المالديفيين إلى نازحين بوذيين من الهند وسريلانكا في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد ظلت البوذية هي الديانة الرسمية لتلك الجزر إلى حدود أواسط القرن الثاني عشر، حين انتقلت الدولة كاملة شعبا وحكومة في أقل من شهرين إلى دين الإسلام، بعد حادثة تاريخية سجّلها

(1) تقع جمهورية المالديف على بعد 650كم من الشاطىء الغربي لسيلان، وتشغل في المحيط الهندي مساحة طولها ثمانمائة كم، وعرضها في أوسع الأماكن115كم، وتتألف من 1087جزيرة منها 200جزيرة مأهولة بالسكان، وبقية الجزر خالية، يستغل بعضها في إنتاج المحاصيل الزراعية والأخشاب، وبعضها في السياحة، وهذه الجزر رملية مرجانية لا توجد فيها جبال، ولا أنهار إلا بحيرات عذبة في بعض الجزر، والجزر صغيرة بصفة عامة فأكبرها لا يزيد طوله على 12كلم، ولا يتجاوز عرضها 5كم. عاصمتها جزيرة أو مدينة«مالى» وتنطق مع إمالة حرف اللام للفتح(ماله) ، ويقع أمامها الميناء الرئسي، ولكن المطار يقع على جزيرة«هولولي» التي تبعد 3كم عن جزيرة«مالى».

وصول الداعية الإسلامي الأمازيغي (**أبو البركات يوسف البربري**) إلى إحدى هذه الجزر، موقعا على بداية جديدة لبلد لم يعرف غير البوذية في أبشع صورها تديُنا.

عادات بوذية قبل وصول أبي البركات البربري: تُثبت العديد من الروايات التاريخية، والكثير من العادات المالديفية التي لازالت مرتبطة بتلك الحقبة من خلال فلكلورات سنوية تؤرخ لتلك المرحلة، أن البوذية في تلك الجزر كانت رهينة الكثير من العادات المجتمعية والدينية التي أرهقت كاهل السكان، ومن ذلك، عادة دينية سائدة في الجزر تقضي بتقديم قربان بشري لما كان يسمى لديهم ب«**شيطان البحر**»أو «**امرأة البحر**» و المعروف محليا بـ «Rannamaari»، حيث كانت القبائل تقترع مرة كل شهر بين فتيات الجزر الصغيرات أيُّهن تُقدم قربانا لـ«**راناماري**» من أجل إرضائها وكف غضبها عن السكان، فكانت تُحمل إلى شاطئ البحر وتُوضع مقيَّدة داخل كوخ يُطل على البحر ليلا، ليعودوا في الصباح التالي وقد تمزق جسد الفتاة واستحال أشلاء متناثرة في المكان، لحرق ما تبقى من الجثة وفق طقوس البوذية المعروفة، ليعود «**راناماري**» إلى عمق البحر ضاربا موعدا آخر مع ضحية أخرى بعد شهر.

وصول أبي البركات البربري إلى مالديف: رجل في منتصف العمر، غريب الملامح، بوجه غير ملتحٍ، يحط رحاله سائحا بجزيرة «**كيندهو** – kendhoo» بأرخبيل «**با** – Baa» يوم 24 يونيو 1153م ، لينزل ضيفاً على سيدة عجوز، ويبيت ليلته هناك، وتبدأ أولى الأحداث التي ستُحول دولة بأكملها إلى الإسلام في اليومين اللاحقين. يقول ابن بطوطة في كتابه «**تُحفةُ النُّظار**»: « ثم إنهم قدم عليهم مغربي يسمى بأبي البركات البربري، وكان حافظا للقرآن العظيم، فنزل بدار عجوز منهم بجزيرة المهل، فدخل عليها يوما، وقد جمعت أهلها، وهنَّ يبكين كأنهن في مأتم. فاستفهمهنَّ عن شأنهنَّ، فلم يفهمنه. فأتى ترجمانٌ فأخبره أن العجوز كانت القُرعة عليها، وليس لها إلا بنت واحدة، يقتلها العفريت».

التعليم والتعلم: لم تكُن أخلاق الأمازيغ وردُّ دين كرم الضِّيافة التي اشتهروا به إلا لتدفع أبي البركات مسلَّحا بعلمه الشرعي إلى وضع حد لسفك دماء الأبرياء ضحايا

المعتقدات الباطلة التي سفكت من دماء بنات تلك الجزر المئات دون وجه حق، وفي هذا يقول ابن بطوطة: «فقال لها أبو البركات: أنا أتوجه عوضا من ابنتك بالليل، فاحتملوه تلك الليلة، وأدخلوه إلى بُدْخَانة(1)، وهو متوضئ. وأقام يتلو القرآن، ثم ظهر له العفريت من الطاق، فداوم التلاوة، فلما كان منه بحيث يسمع القراءة غاص في البحر» وبذلك يكون أبو البركات قد سجل أول عودةٍ للجنِّي المعتدي من حيث جاء، دون أن يظفر بقربانه المألوف. وبذلك يكون أبو البركات أول من تلا كتاب الله في جزر المالديف والمحيط الهندي.

جرياً على عادتهم صبيحة كل يوم يلي ليلةَ تقديم القربان؛ اتجه أعيان القرية ومن معهم إلى المحل قصد نقل ما تبقى من الفتاة لإحراقه، إلا أنهم فوجئوا برجل يقرأ كلاما غريبا عن أفهامهم ولسانهم، وبلحنٍ خاص. يقول ابن بطوطة:«فجاءت العجوز وأهلها وأهل الجزيرة، ليستخرجوا البنت على عادتهم فيحرقوها، فوجدوا المغربي يتلو، فمضوا به إلى ملكهم، وكان يسمى «**شَنُورازة**»(2) ... وأعلموه بخبره، فعجب»(3).

إسلام ملك جز مالديف على يد البركات البربري: مثول أبي البركات أمام الملك كان فرصته السانحة لتصحيح معتقدات بوذية باطلة وتعبيد الشعب المالديفي لله وحده، بعيدا عن الطقوس الخرافية الظَّلامية الرِّجعية التي جعلت مُنتسبي هذا الدين أسرى الخرافة، موقفٌ يذكر بمثول نبي الله يوسف عليه السلام أمام ملك مصر بعد محنة السجن. وعن هذه اللحظة يقول ابن بطوطة أيضا: «وعرض المغربي عليه الإسلام، ورغَّبَهُ فيه. فقال له أقم عندنا إلى الشهر الآخر، فإن فعلت كفعلك، ونجوت من

(1) بدخانة: معبد البوذيين.

(2) لا يزال المالديفيون يسمون بهذا الاسم ولكن بلفظ(شاني ويرازه)

(3) هذه القصة أنكرها المالديفيون ، وربما كان هناك بعض من أصحاب النفوس المريضة من البحارة يستغلون سذاجة الناس في ذلك الزمن وكانوا يخيفونهم ليلا، أو ربما نقلت بطريق خطأ، مع أن قصة إسلام السلطان مثبوتة وموثقة تاريخيا ولها شواهدها هناك حتى اليوم وشخصية يوسف البربري حقيقية، والمهم هو تحرك رجل الدعوة فإن في الحركة بركة، ومن مظاهرها أن أصبحت دولة بأكملها مسلمة، ولا يوجد فيها غير المسلمين.

العفريت أسلمت. فأقام عندهم. وشرح الله صدر الملك للإسلام فأسلم قبل تمام الشهر، وأسلم أهله وأولاده وأهل دولته. ثم حمل المغربي لما دخل الشهر إلى بِدخانة، ولم يأت العفريت، فجعل يتلو حتى الصباح. وجاء السلطان والناس معه فوجدوه على حاله من التلاوة، فكسروا الأصنام، وهدموا البدخانة، وأسلم أهل الجزيرة، وبعثوا إلى سائر الجزائر فأسلم أهلها».

يقول إبن بطوطة : « وأقام المغربيُّ عندهم مُعظما، وعرفانا منه بجميل أبي البركات، طلب الملك الملديفيُّ ـ المسلم حديثا ـ من أبي البركات أن ينقش على لوحة تذكارا يُشير فيه إلى تاريخ إسلام الملك على يده، وهي اللوحة التي لازالت محفوظة إلى حد الآن، وعنها يقول المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي: «كما أن النقش الموجود فيها يعتبر أقدم خط عربي في المالديف إن لم يكن أقدم خط عربي في إقليم المحيط الهندي كله، وأعتقد أنه من المفيد جدا أن نقف مع بعض المعلومات التاريخية التي قدمتها لنا هذه اللوحة».

اليقين الكامل على أنه لا إله إلا الله وحسن اتباع النبي ﷺ: قام الملك بتغيير إسمه بإيعاز من أبي البركات إلى «محمد بن عبد الله» تشبها باسم رسول الله ﷺ.

الإكرام وحسن الخلق: كما قام الملك بتخصيص ثلث مداخل الجزر لعابري السبيل ردا لجميلهم، إذ كان إسلامه بسببهم، فسمي على ذلك حتى الآن. وفي ذلك يقول ابن بطوطة: «وقرأت على مقصورة الجامع منقوشا في الخشب أسلم السلطان أحمد شنورازة على يد أبي البركات البربري المغربي».

الصلاة ذات الخشوع والخضوع لله والتعليم والتعلم: بعد تثبيته الإسلام في نحو ألفي جزيرة مجموع الجزر آنذاك، أشرف أبو البركات على بناء عشرات المساجد في شتى الجزر، وقام بشخصه يعلم الناس أحكام الدين وعقيدة التوحيد، فوقع المالديفيون على آلهة الأمس يحطمونه ويرمونها في البحر، حتى باتت الجزر خالية من أي صنم أو تمثال أو أي علامة تدل على الديانة البوذية التي كانت مستحكمة فيها قبل شهرين فقط!.

الإخلاص وتصحيح النيَّة: منذ أن غرس أبو البركات البربري شجرة التوحيد والعقيدة الإسلامية الصحيحة بجزر المالديف، لم يعرف هذا البلد دينا آخر أوعقيدة أخرى مخالفة لذاك المنهج. فرغم العديد من المحاولات التي استهدفت وضع نواة أولى للنصرانية في الجزر، إلا أن المبشرين يصطدمون في كل مرة بتمسُّك أحفاد أبي البركات بعقيدتهم، رغم الإغراءات المادية الكثيرة التي يتعرضون لها، سواء عبر الإرساليات البريديَّة، أو عن طريق الطلاب والمهاجرين المالديفيين القاطنين خارج الجزر.

المالديفيون وقبر أبي البركات: لا يكاد يمر أي مواطن مالديفي بضريح أبي البركات إلا رفع أكف الدعاء له بالرحمة والمغفرة جزاء ما قدم للجزر، ففي أرقى شوارع العاصمة (**ماله ـ مالي**) يرقد فاتح جزر المالديف (أبو البركات البربري) داخل مبنى فخم بُني خصيصا لهذا الغرض سنة 1956م، ويعد المبنى الأكثر حظوة بالاحترام من قبل المالديفيين في المدينة.

منزل أبي البركات بجزيرة كيندهو تحفة تاريخية: لا يزال مقام أبي البركات البربري بجزيرة كندهو وسط جمهورية المالديف سليما كما بناه، منزل بسيط يؤكد المعروف من سيرته بكونه عفيفا وبعيدا عن الطمع في الجاه والسلطة والنفوذ.

ثالثاً: أحوال ومُبَشِّرات جَوْلَة مالديف في ضوء صفات الصحابة

الأحوال والمبشرات	الصفات المرتبطة بها
أسلم الملك وقام بتغيير إسمه بإيعاز من أبي البركات إلى «محمد بن عبد الله» تشبها باسم رسول الله ﷺ، وكسر أهل الجزر الأصنام، وهدموا البدخانة	الكلمة الطيبة وحسن اتباع النبي ﷺ
أشرف أبو البركات على بناء عشرات المساجد في شتى الجزر	الصلاة ذات الخشوع والخضوع لله
أبو البركات مسلَّحا بعلمه الشرعي وضع حداً لسفك دماء الأبرياء ضحايا المعتقدات الباطلة التي سفكت من دماء بنات تلك الجزر المئات دون وجه حق، وقال: أنا أتوجه عوضا من ابنتك بالليل، فاحتملوه تلك الليلة، وأدخلوه إلى بُذْخَانة، وهو متوضئ. وأقام يتلو القرآن	العلم مع الذكر
قام الملك بتخصيص ثلث مداخل الجزر لعابري السبيل ردا لجميلهم، إذ كان إسلامه بسببهم	الإكرام وحسن الخلق
منذ أن غرس أبو البركات البربري شجرة التوحيد والعقيدة الإسلامية الصحيحة بجزر المالديف، لم يعرف هذا البلد دينا آخر أوعقيدة أخرى مخالفة لذاك المنهج	الإخلاص وتصحيح النية
رغم العديد من المحاولات التي استهدفت وضع نواة أولى للنصرانية في الجزر، إلا أن المبشرين يصطدمون في كل مرة بتمسُّك أحفاد أبي البركات بعقيدتهم رغم الإغراءات المادية الكثيرة التي يتعرضون لها	الدعوة وبذل الجهد لدين الله